

بسم الله الرحمن الرحيم

رياض الصالحين

شرح حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: "آية المنافق ثلثٌ..". ١

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالحديث الأول في باب الأمر بأداء الأمانة هو حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((آية المنافق ثلث، إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان))<sup>(١)</sup>، وفي رواية (( وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم))<sup>(٢)</sup>، قوله -صلى الله عليه وسلم-: "آية المنافق" أي: عالمة المنافق التي يعرف بها، وهي عالمة ظاهرة؛ لأن النفاق علة باطنية لا يعلمه إلا الله -عز وجل-، ولكن قد تظهر بعض أمارتها ودلائلها وعلاماتها، مما يصدر عن الإنسان من قول أو فعل، وهذه الأمور التي ذكرها النبي -صلى الله عليه وسلم- هي علامات يعرف بها المنافق، وقد جاء في بعض الأحاديث: ((ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها))<sup>(٣)</sup>، أي: حتى يتركها، فهذه الصفات إذا استحكت في الإنسان فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- حكم عليه بالنفاق، وكان صاحبها منافقاً خالصاً، ثم قال: (( وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم))، ومن أهل العلم من حمل ذلك على النفاق العملي؛ لأن النفاق كما هو معلوم نوعان: نفاق عملي حملوه على مثل هذه الأشياء، ونفاق اعتقادي وهو: أن يبطن الإنسان الكفر ويظهر الإسلام، والمقصود أن هذه الأمور التي ذكرها النبي -صلى الله عليه وسلم- وهي ثلاثة في هذا الحديث، وفي بعض الأحاديث ذكر أربعاً، ومنها: ((إذا عاد غدر))<sup>(٤)</sup>، فهذه الأمور المذكورة جميعاً ترجع إلى شيء واحد عليه مدار النفاق وهو: الكذب، والمؤمن لا يجتمع فيه الإيمان مع الكذب بأي حال من الأحوال، المنافق النفاق الاعتقادي المخرج من الملة على أي شيء يدور نفاقه؟ وإلى شيء يرجع؟ يرجع إلى الكذب؛ لأنه كاذب في دعوة الإيمان، قال تعالى: {إِذَا جَاءَكُمُ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهُدُ إِنَّكُمْ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكُمْ لَرَسُولُهُ} [المنافقون: ١]، فكذبهم بهذا مع أنها قضية صادقة، ولهذا قال: {وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكُمْ لَرَسُولُهُ}، ولكن لما كان ذلك يخالف ما في بواطنهم حكم عليهم بالكذب فقال: {وَاللَّهُ يَشْهُدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ}، والله

١ - أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب عالمة المنافق، (١٦/١)، رقم: (٣٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، (٧٨/١)، رقم: (٥٩).

٢ - أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، (٧٨/١)، رقم: (٥٩).

٣ - أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب عالمة المنافق، (١٦/١)، رقم: (٣٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، (٧٨/١)، رقم: (٥٨).

٤ - أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب عالمة المنافق، (٤/٢٠٢)، رقم: (٣١٧٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، (٧٨/١)، رقم: (٥٨).

-عز وجل- يقول عنهم: **{اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جَنَّةً}** [المنافقون: ٢٠]، أي: وقایة كالترس، **{فَصَدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}** أي: بئس العمل عملهم، وبئس الصنيع صنيعهم؛ لأنهم جعلوا اليمين دافعة كل التهم التي توجه إليهم مما يرمون به من النفاق والأمور العظام، فهم جعلوا هذه اليمين يكذبون بها ما يتهمنون به من قول وفعل سيء، فهم كذبة يظهرون شيئاً بأسنتهم ويخفون شيئاً آخر في قلوبهم، هذه حقيقة النفاق، وإنما حملهم على هذا الأمر الشنيع هو الجبن والخوف، لم يكونوا بقوة يصارمون فيها كما صارم أهل الإشراك من طوائف المشركين الذين ماتوا دون مبادئهم، وإنما صاروا يتلونون، يظهرون الموافقة لمن غالب، فلما غالب المسلمين بعد غزوة بدر أظهروا لهم الموافقة، حتى قال عبد الله بن أبي: هذا أمر قد توجه، وأرى أن تدخلوا به ظاهراً، وذلك من أجل أن يحقروا دماءهم، وأن يحرزوا أموالهم، فهم جبناء عن المواجهة، ومن ثم يتلونون مع من قوي وغلب، وهذه الأوصاف المذكورة هنا في هذا الحديث، وكذلك الوصف الرابع -إذا عاشر غدر- ترجع إلى الكذب، تأملوا هذه الأوصاف، "إذا حدث كذب"، فهو كاذب في الحديث، والكذب بالحديث هو: أن يقول الإنسان شيئاً لا يعتقد، ولو كان موافقاً للواقع في حقيقة الأمر، لو سئل مثلاً: أين زيد؟ فقال: مسافر، وهو يظن أنه موجود، لكنه أراد أن يكذب وتبين أن زيداً فعلاً مسافر، فإنه يكون كاذباً، مع أنه وافق الواقع، لكنه خالف ما في اعتقاده، فهذه حقيقة الكذب، وهذه صورة ظاهرة واضحة لا خفاء فيها من صور الكذب، بل هي من أجيال صوره، وهناك صور أخرى للكذب خفية، صور أخرى للكذب بالقول خفية، وذلك لأن يكون الإنسان يعلم بشيء ويحاول أن يبدي لغيره أنه لا يعلم بذلك، لأن يعلم أن فلاناً من الناس أنه قد خسر في تجارته، وأنه قد أودع السجن مثلاً، أو أنه دخل المستشفى، فيأتي إليه ويقول: أين أنت؟ منذ زمن طويل ما رأيتكم، فيقول: أنا في المستشفى، فيبدي له غاية العجب، يشعره أنه لم يعلم بذلك كله، مع أنه يعلم جميع التفاصيل، فهذا في الواقع لون من الكذب خفي، يقع فيه بعض الناس، دون أن يشعر، "إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف"، والخلف في الموعيد هو لون من ألوان الكذب؛ لأنه وعد كاذب، يقول: آتاك الساعة السادسة ولا يأتي، فهذا كذب، وقد سئل الإمام أحمد -رحمه الله-: كيف نعرف الكاذبين؟ قال: بمواعيدهم، وللأسف كثير من الناس يفرط في الموعيد ولا يلتزم بها، وأسهل شيء عليه أن يخلف الوعد، "وإذا اؤتمن خان" وهذا كذب آخر أيضاً، يعطى أمانة ثم بعد ذلك يخونها، فهي أمانة كاذبة، وذمة ضائعة، وحق للناس مضيع، وهو لون من الكذب، إنسان سافر فاستودع فلاناً من الناس على أهله فخانه، فلان أعطاه مالاً فخانه، فلان اشترك معه في تجارة وكان كل شيء باسم هذا الخائن، ثم بعد ذلك قال للآخر: ليس لك عندي شيء، وليس عندك ما يثبت لك حقاً، بهذه خيانة، وهذا كذاب، والخصلة الرابعة وهي: "إذا عاشر غدر"، ولا شك أن هذا من الكذب، يعاشر أن يفعل كذا، أو ألا يفعل كذا، يعاقد الناس على شيء، ثم بعد ذلك يغدر بهم، وهذا راجع إلى الكذب أيضاً، والكذب كله يرجع إلى الغش، والتلبيس والصفات السيئة من أوصاف النفس، كالجبن؛ فهو لا يستطيع المواجهة، لماذا يكذب الإنسان؟ يكذب لأنه لا يستطيع أن يواجه بالحقيقة، يقال له: هل فعلت هذا الشيء؟ يقول: لم أفعل، وهو فعل، لو كان شجاعاً لقال: نعم أنا فعلت، إن كان مقتضاً بفعله يبدي عن قناعته، وإن كان غير مقتضي يقول: فعلته وأخطأت، وأدركت خطئي، أما أن يكذب بهذا جبان، والمسلم يتزه عن هذه الأوصاف؛ لأن الإيمان حقيقته عائدة إلى الصدق، الصدق بالقول، والصدق بالاعتقاد، والصدق

بالعمل وبالجوارح؛ ولهذا يكون الكذب أيضاً بالجوارح كأن يُظهر الإنسان أعمالاً وقلبه ينطوي على شيء آخر، ويكون بالقول كما ذكرنا، ويكون أيضاً الحال، يُظهر حالاً من العبادة والنسك والزهد وإذا رأى الناس اغترروا به، وحقيقة واقعه أنه ذئب أطلس

صلٍّ وصام لأمرٍ كان يطلبـه \*\*\* فلما انقضى الأمرٌ لا صلٍّ ولا صاما

نَسَأَلَ اللَّهُ الْعَافِيَةَ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَطْلُعُ عَلَى السَّرَايْرِ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ وَإِنْ خَفَى عَلَى النَّاسِ، مَعَ أَنْ  
بعض الناس من أهل الفراسة الصالحة لا يخفى عليهم ذلك، يميزون، مهما تظاهر الإنسان بالصلاح فإن  
للطاعة والصدق والإيمان بهاء في الوجه لا يخفى على ذي فراسة، والعبرة بنظر الله -تبارك وتعالى-، فهو  
الذي: {يَعْلَمُ السَّرَّ وَأَخْفَى} [طه: ٧]، والعبد لا ينفعه أن ينجو في موقف محرج أمام الناس، ولكنه يتورط بين  
يدي الله -عز وجل-، والله -عز وجل- يقول: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُوْنُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}**  
[التوبـة: ١٩٩]، وقصة الثلاثة الذين خلفوا عن غزوـة تبوك ما أنجاهم إلا الصدق، والمنافقون الذين ماتوا  
وأحرزوا دماءـهم وأموـالـهم ماذا يعنيـ عنـهم هـذا؟، وماذا ينفعـهم؟ لا شيءـ، فهي قضـية وقـتـيةـ، ثمـ بعدـ ذلكـ  
ينكشفـ الغـطـاءـ عنـ حـقـيقـةـ زـائـفةـ يـفـتـضـحـ بـهـاـ العـبـدـ بـيـنـ يـدـيـ اللهـ عـزـ وـجـلــ وـيـكـونـ لـهـ سـوـءـ الذـكـرـ فـيـ الـخـلـائقـ،  
نـسـأـلـ اللـهـ عـزـ وـجـلــ أـنـ يـرـزـقـنـاـ وـيـأـكـمـ الإـلـاـخـاصـ وـالـصـدـقـ فـيـ القـوـلـ وـالـعـمـلـ، وـأـنـ يـصـلـحـ لـنـاـ النـيـةـ وـالـذـرـيةـ،  
الـلـهـمـ اـرـحـمـ مـوـتـانـاـ وـاـشـفـ مـرـضـانـاـ وـعـافـ مـبـلـانـاـ، وـاجـعـ آخـرـتـاـ خـيـراـ مـنـ دـنـيـانـاـ، وـصـلـىـ اللـهـ عـلـىـ نـبـيـنـاـ مـحـمـدـ،  
وـآلـهـ وـصـحـبـهـ.